

لماذا ينتحر الناس ؟

بحث نفسى اجتماعى

للدكتور أحمد موسى

—

لم يكن الانتحار معروفاً في مصر قبل ربيع قرن ١ وكان الناس على الأرجح أكثر قناعة واحتمالاً ، أرحب صدرًا لمقابلة آلام الحياة وأقل تبرماً بها ! أما اليوم ولاسيما خلال العشر السنوات الأخيرة فقد بدت ظاهرة غريبة ، هي إقدام الكثيرين على الانتحار سواء في ذلك الشبان والشابات والنساء والرجال دون فرق ظاهر بين متعلم وجاهل وبين فقير وغنى وبين صحيح ومرضى وبين متزوج وأعزب .

ولبيان خطورة هذا السلك ودراسة المدافع إليه والنتائج المترتبة عليه يجدر بنا أن نلقى نظرة بسيطة على الإحصاء الدقيق المعمول في أمريكا وأوروبا .

وخير ما يمكن أن يدرس هو الإحصاء الذى سجله الدكتور فردريك هوفان أحد مديري شركات التأمين الكبرى في نيويورك ، وهو بحكم دراسته ووظيفته ، اشتغاله بالإحصاء أكثر من ثلاثين عاماً يعد من الثقات في هذا الموضوع . يقول هوفان إن عدد المنتحرين بلغ في سنة ١٩٣٥ سبعة آلاف ، ويقرر بعد عمل المقارنة أن هذا العدد الهائل يماثل ما حصل في بحر عشر سنوات من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩٨ ، وهذا دليل على أن ترمومتر الانتحار أخذ في الارتفاع

ومع الاعتراف بفضل تقدم الوسائل الاقتصادية وتأمين المال ومساعدة العاطلين مالياً وإيجاد سبل العمل لأكثر عدد منهم والتقدم العمرانى العام وانتشار التعليم إلى جانب انتشار وسائل التلهية والتسلية ؛ فإن هذا كله لم يكن لينع ازدياد الانتحار بين الناس على غير ما كان منتظراً ومأمولاً .

هذا ما وقع في أمريكا ولكنه قد لا ينطبق تمام الانطباق على ما يحدث في أوروبا ، وقد يخالف ما يحصل في الشرق على وجه الخصوص .

والشيء الذى تجب ملاحظته هو أن الانتحار يكثر عادة في

البلاد المتدينة عنه في البلاد المتأخرة ، وفي المواسم والمدن الكبرى عنه في البلدان الصغيرة والقرى ، أى أن حوادث الانتحار ترتبط ارتباطاً وثيقاً بانتشار المدنية ؛ ولذلك فلا غرابة إذا وجدنا أن الانتحار غير معروف عند السود في جنوب الولايات المتحدة وفي أواسط أفريقيا . والسبب في ذلك أن مطالب الحياة في البلاد المتقدمة أكثر تنوعاً وأشد إلحاحاً منها في البلاد البعيدة النائية حيث الحياة بسيطة أقرب إلى الفطرة .

وسكان جنوب الولايات المتحدة وإن كان معظمهم من الزراع وعمال مصانع النسيج الفقراء فإنهم يعيشون في أمان من الانتحار إذ لم تزد نسبة المنتحرين عندهم عن اثنين في كل مائة ألف من السكان ، على حين قد ثبت أن هذا العدد بلغ ثمانية في كل مائة ألف في الأماكن المجاورة حيث توجد المدنية !

والإحصاء العام يدل في غير شك على أن معظم المنتحرين كانوا من بقاع النصف الشمالى للكرة الأرضية بنصفها الغربى والشرقى حيث سارت المدنية بخطى أوسع وبسرعة أكبر ، وحيث العوامل الجوية دأمة الانقلاب والتغير والتباين ، وهو نفس الجو الباعث على النشاط والعمل والانتاج ، فكان الشعوب التى نالت القسط الأدنى من التعليم والثقافة والتي لديها الأسس الاقتصادية ، امتازت أيضاً بزيادة عدد المنتحرين فيها .

وثبت من الإحصاء أن انتحار النساء يكون على أشده بين سن ١٥ و ٤٥ والرجال بين سن ٢٥ و ٦٠ ، إلا أن عدد المنتحرات كان دائماً أقل من عدد المنتحرين ، لأن المرأة بطبيعتها المولودة معها أكثر جلدًا وصبراً واحتمالاً لآلام الحياة ، وهى كأم أقل تبرماً بالقدر وأكثر تضحية بنفسها لأولادها ، فضلاً عن أن مسئوليتها في الحياة أقل نسبياً من مسئولية الرجل المولود للكفاح والقومة على المرأة ، وليس في مكنته التحرر من واجبات الزوجية أو إهمالها ، كما أن من واجباته الأولى مساعدتها على البقاء وتأدية رسالتها التى خلقت من أجلها وهى الأمومة ، ولذلك فعندما تصادف المرأة من صرارة العيش تدرأ مساوياً لما يصادفه الرجل كالآلام النفسانية أو الجسدية أو الصدمات الحيوية المنيغة ؛ فلها لا تفكر في الانتحار أو على الأقل لا تميل إليه بمقدار قوة ميل الرجل ، لأنها أهدأ من نوع من السلوى وأكثر رضوخاً للتعاليم الدينية وأميل للانحياز نحو الآمال التى قد تتحقق حيناً وتختبأ أحياناً .

ودلت التجارب على أن حوادث الانتحار منتشرة في البلدان التي يكثر فيها العاطلون من ذوى النفوس الحساسة والمقولات التي تقدر المسئولية ؛ لذلك قامت الحكومات التمدنية بمحاورة البطالة بمختلف الوسائل ووفق بعضها توفيقاً هائلاً إلى ما قبل الحرب الأخيرة ومن الغريب أن معظم حوادث الانتحار أقدم عليها أفراد من الريف انتقلوا إلى المدن الكبرى والعواصم مأخوذون بمعمرها وأضوائها واتساع شوارعها وسهولة العيش فيها ، فإذا ما استقر بهم الحال هبوا سعيًا وراء الرزق والعمل ، ولكن سرعان ما يصطدمون بصخرتها القاسية فيفرون من ذلك السحر وهذا الجلال إلى حيث النهاية التي لا عودة بعدها .

والانتحار عمل ناشئ عن اختلال التوازن العقلي واضطراب المجموع العصبي ، فيختل تقدير الإنسان للمسئولية الأدبية والاجتماعية فيندفع إلى تلك الخاتمة الأليمة التي لو ساعدت الظروف الخارجية عن إرادته على منه لماد إليه صوابه وندم على ما كان شاعراً فيه ونكاد كل حالات الانتحار تتشابه من حيث الدافع إليها ، أى أنها تسلط فكرة « التخلص » من متاعب لا نهاية لها ، سواء في ذلك المتاعب الجسمية أو النفسية ، والجسمية مرضية معظمها ميثوس من شقائه كالسرطان والتدرن الرئوي والأمراض التناسلية ، أما النفسية فهي مع تنوعها لا تحتاج إلى إيضاح كثير ولكنها مع كل حال لا تخرج عن يأس وقنوط لايجاد حل « مقبول » لمشاكل لا حدود لها .

وكم من صرّة سمعنا بعض الناس يقول « إن الحياة عندي لا تساوى ملياً » أو « إنى أفضل الموت على الحياة » أو « لماذا ولدنا وكل ما في الحياة عذاب » وهذه الكلمات لا تصدر عفواً ولا يقولها القائل تلهياً وعبثاً ؛ فواجبتنا جميعاً بقضى بدرس هؤلاء الناس والعمل على تخفيف آلامهم ، ولا ننسى أن بعض هؤلاء انتحر فعلاً بعد أن التمس من الحكومة الأخذ بيده ليتمكن من القيام بواجبات الأبوة لأطفال صغار .

إن مما يؤسف له حقاً أن تكون المدنية السبب الأول لهذا البلاء لأنها هي التي جرت على الناس مصيبة الترف ودقة الإحساس والبالغة في تقدير المتاعب ، وقربهم إلى « النومة » فأصبحوا خائري القوى لا يرغبون في المقاومة بل ويستسلمون لأقل قوة ، فترى البعض يشور إذا ما أصاب مصد المارة التي يسكنها أى خلل مؤقت يترتب عليه بذل جهد بسيط في الصعود إلى الطيقة الرابعة أو الخامسة ، وزاد بالناس التبرم بالحياة إلى حد

نعم إن هناك مشكلة التقدير لهذه المتاعب ، فقد بصيب المرأة يصيب الرجل ، وكلاهما يختلف عن الآخر في التقدير . ويمكن التأكد من صحة هذه الملاحظة بالنظر إلى عدد المنتحرين في مصر عام ١٩٢٧ مثلاً ، فقد بلغ مائة وستة أشخاص بيانها :

السن	ذكور	إناث
من ١٠ إلى ١٩	١٠	١٤
٢٠ إلى ٢٩	٤٠	١١
٣٠ إلى ٣٩	١٤	٦
٤٠ إلى ٤٩	٤	٥
٥٠ فأكثر	٦٠	٦٠

المجموع ٦٨ ذكوراً ، ٣٦ إناثاً .

يضاف إلى ذلك اثنان انتحرا في سن أقل من العاشرة .

ومن هذا البيان يتضح أن المرأة أقدمت على الانتحار بنسبة أكثر في وقت كانت فيه أبعد عن الرزاة وأقرب إلى الآمال ، على حين أقدم الرجل بكثرة عند ما شعر بالمسئولية . وكذلك يلاحظ أن عدد المنتحرين قل إجمالاً بعد سن الأربعين وتساوى مع الرجل بعد سن الستين . وهذا يؤيد أيضاً أن المرأة أقل اندفاعاً نحو الانتحار من الرجل ، وذلك بالنظر إلى مجموع الرجال ومجموع النساء ولا يختلف هذا عن نتائج الإحصاء في أمريكا وأوربا .

وقد كثرت حوادث الانتحار في العهد الأخير بين التملين في القارتين الأمريكية والأوربية ، ولاسيما بين الأفراد الذين نالوا قسطاً وافراً من المعارف ولم يكن ميسوراً لهم الانتفاع بممارفهم سواء في خدمة المجموع أو خدمة أنفسهم ، وكان الباب في غالب الأحيان موصداً في وجوههم لتفشي داء المحسوية الويل الذي كان من أكبر أسباب انهيار فرنسا بجيشها الباسل ورجال العلم والعمل فيها . وإن كلمة بيتان في سبب الانحلال الأخلاقي لأكثر دليل على ما أصاب هذا البلد العظيم من عوامل إخفاء الأكفأ والأحسن والأسمى ، ولو اتمظ الناس في بلادنا لأعرضوا جميعاً عن تشجيع المحسوية بل لعملوا على محاربتها ، لأنها تقتل الكفاءات وتثبط المزائم وتمارب الماملين وتندفع ببعضهم إلى الانتحار مللاً وضجراً ورغبة في نهاية فيها الراحة مهما كانت مرارتها ولوحظ أن حوادث الانتحار تكثر في أوقات الأعياد ولاسيما الدينية منها كعيد الميلاد ورأس السنة المسيحية ، وكذلك عقب الامتحانات العامة وخصوصاً في مصر ، والانتحار سواء بالفرق وهو أكثر ما بلجأ إليه أو بتناول السموم أو بقطع الشريان أو بالرصاص قد كثر في عهدنا الحاضر كثرة تبعث على القلق وتخفف ذوى المهمل إلى وجوب الدرس والنصح والتعانة

البحر والقمر

للأستاذ علي محمود طه

« من ذكريات مدينة « كان » بالريفيرا القريسية صيف عام ١٩٤٦ . وقد أخذت في خليجها القان حفلة شائعة للباحين والباحات ذات ليلة مديدة استمرت حتى مطلع الفجر » .

تسأل الماء فيك والشجر
البحر والخور فيه ساجحة
أطلّ والضوء راقص غزل
يهمس فيما يراه من فيتن
يقفز من لجة إلى حجر
مهرباً لا يريم ساجحة
من كل حواء مثلما خلقت
ألقته عنها غلالة رنصت
في حانة ما علت بها عمد
جدرانها الماء ، والسما لها
حمارها منشد ، وسامرها
لم تبث في الشط منهم قدم
وشيموا العقل حينما شربوا
والسباحات الحسان حولهم
يزيد سيقانهم من ج
بضى ورداً وخرة وسنى
تسار الوج إذ ظلمن به
بهنّ بلفظ مرتق ويرى
منقولات قدودهم كما
ملوحات بأذرع عجب
والضوء فوق الخصور منهمر
ما زلن والبحر في توتئبه
قد جاوز الليل نصفه فتى
فليصخب البحر ولتن به
ولتصف الرياح فوق مانجه
أقمن لا ينتحين شاطئه
حتى يرى وهو فضة ذهب
من أين يا « كان » هذه الصور ؟
رؤى بها بات يحلم القمر !
دعاء قلب ، وشافه بصر
آلهة هؤلاء أم بشر ؟
كأنما مس روحه الضجر
إلا ومنه بشرها أثر
يجب منها الحرير والوبر
جسما تحمى نداءه القدر
ولا استوى في بنائها حجر
سقيفة ، والنسائم الشتر
حور تلوى ، وفية سكروا
قد خوضوا في العباب وانتروا
وردوا القاب حينما نظروا
كأنهن النجوم والزهر
لوت عجيب الرداء مبتكر
ذوب من الفريات ممتصر
وثار من حولهن يشجر
ينشق عنهن فيه منحدراً
ينقل الفصن آده الثمر
تحذرهن الهود والشمر
والماء تحت الصدور مستر
برغى كإراع قنابه خطر
توم فيه أصدافها الدُر
رماله ، وليثر الشجر
ولينجس من غمامه المطر
وان ترائى بمائه الشر
تأرجح الليل فيه والسحر !

الرغبة في إحداث « ثورة » منزلية إذا ما وجدوا ماء الخلاقة بارداً أو فاتراً أو شربوا الماء وهو في درجة ترتفع عن الصفر !
لقد فقد الناس الجلد وقوة الاحتمال بفضل المدنية الحديثة
واختراع الآلات الميكانيكية التي تؤدي كل عمل ؛ ولذلك
فلا غرابة إذا زادت نسبة التحريين بين الطبقة المتمتعة بمنزل هذه
« النعم » أو الرأبة فيها أو الساعية إليها !

ويظهر أن هناك علاقة وثيقة بين الموقع الجغرافي والجو في
بلد ما وبين عدد التحريين فيه . فمثلاً نجد أن منطقة سان دييجو
في كاليفورنيا أكثر من غيرها بالنسبة إلى عدد المتحريين ، فقد
بلغ هذا العدد ٤٦ في كل مائة ألف ، وبمدها سان فرانسيسكو ٣٨
ولوس أنجلوس ٣٣ وأوكلاهوما ٣٠ فقط ، والتباين بين هذه المناطق
ظاهر وراجع إلى اختلاف الموقع واختلاف الجو .

ولم يلاحظ أن جمال البقعة أو الوسط مما يخفف من اندفاع
الناس نحو الانتحار ، فمدينة واشنطن مروفة بجبالها وبكثرة
بساتينها وأنها بلد محوط بالحدائق ، ومع ذلك ازداد عدد المتحريين
فيها عن بايون في نيوجيرسي التي لا تدانيها في جمال الطبيعة فيها ؛
فترى في الأخيرة أن عدد المتحريين كان خمسة في كل مائة ألف
على حين وصل في واشنطن ١٨ .

ويظن بعض الناس أن سكان البلدان الحارة وم أقرب إلى
الاندفاع العصبي وسرعة الذبط والغضب لأقل الأسباب أسرع
من غيرهم شروعا في الانتحار ، وهذا مخالف للواقع ؛ إذ أن نسبة
عدد المتحريين في إيطاليا والبرتغال وأسبانيا ومصر أقل بكثير
عن نظيرتها في البلدان الشمالية .

وإذا عد الانتحار دليلاً على الفشل في الحياة وعلى اليأس
والقنوط فإن البمض بعده أنانية ، وسواء أكان هذا أو ذاك فإن
ذلك لا يمنع من درسه والعناية به ؛ لأن الدافع إليه تسلط فكرة
واحدة وأحلال قوة التفكير أمامها ، وهذه الفكرة هي « التخلص »
من الحياة .

ولأصدق من موليير عندما قال في مقطوعته Dépit amoureux
أن الموت أشبه شيء بزجاجة الدواء ، يمكن لكل فرد أن يتناول
منها في وقت معين ، فن اندفع نحوها قبل الأوان فقد اندفع
بعد ما فقد عقله (١) !

أحمد موسى

(١) La mort est un remède à trouver quand on veut
Et l'on s'en doit servir le plus tard que l'on peut, uolière.
1656 A, 4 Sc 1 Frosine